ملخّص برنامج الخاتمة - الحلقة (57)

ذاك الذي وجهه كالدينار وأسنانه كالمنشار وسيفه كحريق النار (ج1)

عبد الحليم الغزّي

الأحد : 18/جمادى الاولى/1442هـ - الموافق 3/1/2021م

في هذه الحلقة سأجيبُ على سؤالٍ يرتبطُ بحديثٍ مرويٍّ عن إمامنا الصَّادقِ صلواتُ الله وسلامهُ عليه، ذكرهُ شيخنا النعماني في كتابه (الغيبة)، وهو الحَديثُ الأول من الباب الرابع عشر: **بسنده، حدَّثنا عَبْدُ الله بنُ حمَّاد الأنْصَاري في شَهرِ رَمضَان سَنة تسع وَعشرين ومئتَين عَن أبان بن عُثمان، قَالَ، قَالَ أبُو عَبد الله جعفرُ بنِ مُحَمَّد صَلواتُ الله عَلَيه: بَينَا رَسُول الله ذَاتَ يوم في البَقيع حَتَّى أقْبَلَ عَلِيٌّ فَسَألَ عَن رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وآله فَقيلَ إنَّهُ بالبَقيع، فَأتَاهُ عَلِيٌّ عَلَيه السَّلام فَسَلَّم عَلَيه، فَقَالَ رَسُولُ الله: اجلس، فَأجْلَسَهُ عَن يَمينه، ثُمَّ جَاءَ جَعْفَرُ بنُ أبي طَالب فَسَألَ عَن رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآله فَقيلَ لَه هُو بالبَقيع، فَأتَاهُ فَسَلَّم عَلَيه فَأجْلَسَهُ عَنْ يَسَارِه، ثُمَّ جَاءَ العَبَّاسُ - عَمّ النَّبي - فَسَألَ عَن رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وآله فَقيلَ لَهُ هُوَ بالبَقيع، فَأتَاهُ فَسَلَّم عَلَيه فَأجْلَسَهُ أمَامَه ثُمَّ التَفَتَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وآله إلَى عَلِيٍّ صَلواتُ الله عَلَيه، فَقَالَ: ألَا أبَشِّرُك، ألَا أخْبِرُك - يَا عَلِي - فَقَالَ: بَلَى يَا رَسُول الله، فَقَالَ: كَانَ جَبْرَائيلُ عِنْدي آنفاً** - عندي آنفاً؛ يعني قبل قليل جداً - **وَأخْبَرَنِي أنَّ القَائمَ الَّذي يَخرُجُ في آخرِ الزَّمَان فَيَملأُ الأرْضَ عَدْلاً كَمَا مُلئتْ ظُلْماً وَجَوْراً مِنْ ذُرِيَّتكَ مِنْ وُلْد الحُسَين، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُول الله مَا أصَابَنَا خَيرٌ قَطُّ مِنْ الله إلَّا عَلَى يَديك، ثُمَّ التَفَتَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وآله إلَى جَعْفَر بنِ أبي طَالب فَقَالَ: يَا جَعْفَر، ألَا أبَشِّرُك ألَا أخْبِرُك، قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ الله، فَقَالَ: كَانَ جَبْرَائيلُ عِنْدي آنفاً فَأخْبَرَنِي أنَّ الَّذي يَدْفَعُهَا** - يدفع الراية - **إلَى القَائمِ هُو من ذُرِيَّتك أتَدْرِي مَنْ هُو؟ قَالَ: لا قَالَ: ذَاكَ الَّذي وَجْهُهُ كَالدِّينَار وَأسْنَانُهُ كَالْمنْشَار وَسَيفُه كَحَريقِ النَّار، يَدْخُلُ الجَبَلَ ذَليلاً وَيَخرُجُ منهُ عَزيزاً يَكْتَنِفُهُ جَبْرَائيلُ وَميكَائيل، ثُمَّ التَفَتَ إلَى العَبَّاس فَقَالَ: يَا عَمَّ النَّبي، ألَا أخْبِرُك بِمَا أخْبَرَنِي بِه جَبْرَائيل؟ فَقَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: قَالَ لِي جَبْرَائيل: وَيْلٌ لِذُرِيَّتك** - لذرية رسول الله - **مِنْ وُلْد العَبَّاس، فَقَالَ: يَا رَسُول الله، أفَلا أجْتَنب النِّسَاء؟ فَقَالَ: قَدْ فَرِغَ اللهُ مِمَّا هُو كَائن.**

السؤالُ بخصوصِ هذا الحديث يشتملُ على شقّين:

- الشقُّ الأول: فيما يرتبطُ بشرحِ وبيانِ بعضِ من المطالبِ الَّتي هيَ ليست واضحة.
- والشقُّ الثاني: سؤالٌ هل أنَّ الشخصيةَ المذكورة في هذا الحديث من ذريةِ جعفر هل هو اليماني أو لا؟

هناك مسألةٌ مُهمَّةٌ جِدّاً أحبُّ أن أشيرَ إليها قبلَ أن أتناولَ الروايةَ الشريفةَ الَّتي قرأتها عليكم قبلَ قليل:

إذا أردنا أن نتعاملَ بشكلٍ صحيحٍ مع نصوص القُرآنِ ونصوص المعصومين والَّتي تتميّزُ بقيمةٍ أدبيةٍ وفنيّةٍ تعبيريةٍ عالية، فلابُدَّ أن نتعامل مع العربيةِ الحيّةِ النَّابضةِ بالروح، فلغةُ العرب:

- جسدها: يتشكَّلُ من ألفاظها وقواعد نحوها.
- وأمَّا روحها: فهو أدبها، أساليبُ التعبيرِ، مضامينُ الفحوى، إنَّهُ الأدبُ بكُلِّ تفاصيله وبكُلِّ تشكيلاته. وهذا هو الَّذي يُشيرُ إليه إمامنا الصَّادق بما يُصدرهُ لنا من أمر: (أعْرِبُوا **حَدِيْثَنَا فَإنَّا قَومٌ فُصَحَاء**)، ما قال الإمامُ فإنَّا قومٌ نُحاة، فإنَّا قومٌ لغويون، قال فإنَّا قومٌ فُصحاء، الفصاحةُ هي الأدب، بالفصاحةِ نستطيعُ أن نفهمَ مضامينَ حديثِ أهل البيت وليس باللغة، ليس بالقواميس، وليس بقواعدِ النحو.

أعْرِبُوا؛ بيِّنوا مقاصدهُ، وهذا الإعرابُ قد يظهرُ في جهةِ إلقائه وطرحه، فإنَّ الأ ئمَّة يُريدون من عُلمائهم أن يكونوا رُواة حديث، وراويةُ الحديث لابُدَّ أن يكون فصيحاً، فصاحةٌ في النُّطقِ وفصاحةٌ في الفهم، لأنَّنا من خِلالِ الفصاحةِ نَستطيعُ أن نفهم النصوص، ومن خلال الفصاحةِ نستطيعُ أن نُوصلَ الفهم إلى المتلقي.

• وقفةٌ مع الآيةِ الثانيةِ والعشرين بعدَ البسملة من سورة الروم: ﴿**وَمِنْ آيَاتِه خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ**﴾ ، الآيةُ لم تتحدَّث عن اللغات، تحدَّثت عن الألسنة، واللسانُ غيرُ اللغة، قد يُعبَّر عن اللغةِ المستعملةِ باللسان، ولكنَّ اللسان يُقصدُ منه المضمونُ الكاملُ للغة جسداً وروحاً، الحديثُ عن كينونةٍ كاملة، ما بينَ الألفاظ وقواعد النحو والأدب، بكُلِّ شؤونه.

• وقفةٌ مع الآية الرابعة والثلاثين بعد البسملة من سورة القصص: ﴿ **وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً** - موسى لا يتحدَّثُ عن المفردات اللغوية، ولا عن قواعد النحو، وإنَّما يتحدَّثُ عن البناء التعبيري، إنَّهُ الأدبُ، إنَّهُ روحُ اللغة، روحُ هذه الكينونة، ولذا جاءت التعابيرُ بالفصاحة وباللسانية - **هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً** - أعْرِبُوا حَدِيثَنَا فَإِنَّا قَومٌ فُصَحاء، صلَّى الله عليه وآله هو الَّذي يقول: أنَا أفْصَحُ مَن نَطَقَ بِالضَّاد - **وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءاً** - لماذا؟ - **يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ** ﴾ ، يُصدِّقني ويُقيمُ الأدلَّة بفصاحته، هذا هو سببُ التصديق، فإنَّ الفصاحة بما هي هي تُشكِّلُ لوحدها دليلاً على صدقِ ما يبوحُ به الفصيح، ألا يُعبِّرُ الَّذينَ يُعبِّرون عن جمالِ لغةٍ مُتكلِّمٍ وطلاوة أدبِ حديثه فيقولون من أنَّهُ يتحدَّثُ بحديثٍ لا يُقاوم، ما المراد لا يُقاومُ حديثه؟! لأنَّهُ يتسرَّبُ من دونِ حواجزِ إلى المناطقِ الَّتي تقبلهُ في العقلِ وفي القلب، لأنَّ الفصاحةَ وسيلةٌ لإثباتِ ما تُفصِحُ عنه.

• وقفةٌ مع الآية الرابعة بعد البسملة من سورة إبراهيم: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ ، ليس بلغة قومه وبعلم النحو، بقواعد منظومة تلك اللغة؟ وإنَّما بالكينونة الكاملة، فحينما نريدُ أن نتعاملَ مع النصوص الدينيّة الَّتي وردتنا بالكينونة الكاملة لابُدَّ أن نتعاملَ معها بمنهجٍ يشتملُ على الكينونة الكاملة، أمَّا هذا المنهجُ النَّجفيّ الَّذي يجعلونهُ أساساً للاستنباط والفقاهة والاجتهاد وعلى ذلكَ ينتخبونَ الأعلم، هُراءٌ في هُراء، هذه نصوصٌ إن كانتَ قُرآنيةً أو كانت حديثيةً جاءت ضمن كينونة متكاملة ما بينَ اللغة والنحوِ والأدب، وما يُسمَّى بالظهور العرفي ما هوَ إلَّا شأنٌ يسيرٌ وجانبيّ من شؤون اللغة، الشأنُ الأعظمُ والأكبرُ في اللغة هو أدبها الَّذي يُمثِّلُ روحها، واللغةُ من دونِ الأدبِ تكونُ لغةً ميتة فكيفَ نستطيعُ أ ن نتعامل بوسيلة ميتة بائسة مع هذه النصوص الحيّة الَّتي تتدفَّقُ أدباً وفصاحةً وبلاغة، تتدفَّقُ حياةً بمضامينها العميقة إنَّهُ القُرآنُ وحديثُ العترة (**مَا إِنْ تَمَسَّكْتُم بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَبَداً**)، هذا هو الضمانُ من مُحَمَّد صلَّى اللهُ عليه وآله ولكن بشروطه! فمثلما ترك لنا قرآناً وحديثاً من حديثه أو من حديث الأئمَّة من بعده، مثلما تركوا لنا ذلك ضمن كينونة متكاملة ما بين لُغةٍ ونحوٍ وأدب، والأدبُ هو العنوانُ الأكبر، وهو العنوانُ الأوسع الَّذي يغيبُ تحت خيمته، كُلُّ ما يتعلَّقُ باللغة وكُلُّ ما يتعلَّقُ بالنحو، علينا أن نكونَ بمستوى قريبٍ من هذا المستوى كي نتعاملَ معَ نصوصِ القُرآنِ ونصوصِ المعصومين صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهم أجمعين، وهذا ما لا وجود لهُ في المنهجِ الطوسي النَّجفي.

• وقفةٌ مع الآية الثالثة بعد المئة بعد البسملة من سورة النحل: ﴿ **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ** - حينما قالوا من أنَّ سلمان الفارسي أو أنَّ أشخاصاً آخرين ما هم من العربِ علَّموا النَّبي ما جاء بهِ من قُرآن- **لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ** ﴾، هذا القرآنُ لسانٌ عربيٌّ مبين كينونةٌ متكاملة، ذلكَ الَّذي يُلحدون إليه، يميلون إليه، ينسبون إليه ما ينسبون أعجمي لا يمتلك الكينونةَ بمستوى الكينونة الَّتي في هذا الكتاب، حتَّى لو كانَ فصيحاً، فالكينونةُ الَّتي عند ه ليست بمستوى كينونة الفصاحة الَّتي في هذا الكتاب، هذه كينونةٌ متكاملةٌ لغةً، نحواً وأدباً، والأدبُ يُغطّي كُلَّ شيء، تلكَ هي الفصاحةُ وتلكَ هي البلاغةُ الَّتي تميّز بها مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد وتميّز بها قرآنهم وحديثهم وأدعيتهم وزياراتهم وما جاء عنهم.

• وقفةٌ مع الآية الخمسين بعد البسملة من سورة مريم: ﴿ **وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا** - الحديثُ عن إبراهيم، وعن إسحاق ويعقوب، عن إبراهيم وذريته -**وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً** ﴾، من الآيات الَّتي ذكرت اسم الأمير بحسبِ تفسيرِ عليّ وآلِ عليّ؛ عليٌّ هنا هو عليٌّ صلواتُ الله وسلامهُ عليه، وإذا أردتم دليلاً سريعاً عودوا إلى دعاء الندبة الشريف ستجدون هذا المعنى واضحاً جدَّاً معَ وفرة من الروايات والأحاديث التفسيرية عندنا ، إنَّما جئتُ بالآية مثالاً على معنى اللسانية الَّتي هي الفصاح ةُ الَّتي هي البلاغةُ الَّتي هي الأدبُ الَّتي هي روحُ اللغةِ وحياتها، ﴿ **وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ** - من هو؟ - **عَلِيّاً**﴾ ، فهذا لسانُ البلاغةِ ولسانُ الفصاحةِ وجوهرُ الأدب، هو الَّذي يقول:

أنـــــا ابـــــنُ نفسي ـــــ وكنيتـــــي أدبي ـــــ مـــــن عجـــمٍ كنـــتُ أو مـــن العـــرب

إنَّ الفتـــــى مـــــن قـــــال هـــــا أنـــــا ذا ـــــ لـــــيس الفتـــــى مـــــن قـــــال كـــــان أبي

أعودُ إلى الرواية الَّتي بدأتُ بها حديثي:

رسولُ الله أخبرَ جعفر من أنَّ الَّذي يدفعُ الرايةَ إلى القائمِ صلواتُ الله وسلامهُ عليه هو من ذُريَّته، قد يكونُ من ذُريَّة جعفر من جهة أبيه أو من جهة أُمِّه، فإن كانَ من بناته الإناث فهو من ذراريه، وإن كانَ من ولده الذكور فهو من ذراريه - كَانَ جِبرائيل عندي آنفاً فأخبَرَني أنَّ الَّذي يَدْفَعُها إلى القائم هُوَ من ذُرِيَّتك، أتَدري مَن هُوَ؟ قالَ: لا، قالَ: ذاكَ الَّذي وَجْهُهُ كالدِّينار وَأسْنانُهُ كالمِنْشار وَسَيفُهُ كَحَريقِ النَّار، يَدْخُلُ الجَبَلَ ذَليلاً وَيَخرُجُ مِنهُ عَزيزاً يَكْتَنِفُهُ جَبرائيلُ وَميكائيل - لم يذكر رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وآله اسماً لهُ، ولم يذكر بلداً لهُ يخرجُ منهُ حينما يكونُ حاملاً للراية الَّتي يدفعها إلى القائم، الروايةُ من هذه الجهة مجملةٌ.

ذَاكَ الَّذي وَجهُهُ كَالدِّينَار - هذا التعبيرُ في لغةِ العربِ، وإنَّني أتحدَّثُ عن الجهةِ الأدبيةِ في هذهِ التعابير لذلك قدَّمتُ تلك المقدِّمة، هذا التعبيرُ في السياقِ الأدبي العربي يُخبرنا عن حُسنِ وجه الَّذي يُوصَفُ بهذا الوصف

- يقالُ رجلٌ جميل.
- ويقالُ رجلٌ وسيم.

الرجلُ ا لجميلُ قد يكونُ وسيماً وقد لا يكونُ وسيماً، لكنَّهُ جميل، التقاطيعُ الهندسيةُ بحسبِ الهندسةِ الجماليةِ في وجههِ تُكسبهُ صُورةً جميلة، لونُ البشرةِ، لونُ العينين، شكلُ الأنف، هندسةُ الثغر، مظهرُ الأسنان، إلى بقيّةِ التفاصيل، حينما يُوصفُ وَجهُهُ بالبدر مثلاً، حديثٌ عن الجمالِ بما هو جمال، ولكن حينما يُوصفُ بالدينار إنَّهُ حديثٌ عن الوسامةِ والجاذبية.

ذَاكَ الَّذي وَجْهُهُ كَالدِّينَار - هناكَ وسَامةٌ في وجههِ تكونُ سبباً للانجذابِ إليهِ، يمتلكُ جاذبيةً، كما هو الدينارُ يجذبُ الناسَ إليه لجماله كونه قطعة فن ية، ولقيمته العالية، والدينارُ في تلكَ الأزمنة، نحنُ نتحدَّثُ عن زمانِ رسول الله صلَّى الله عليه وآله كانت الدنانيرُ ليست بتلكَ الدقَّةِ حينما تُصنع وحينما تُسبَك، فهي ما بين الدائرةِ والشكلِ المربَّع، وتلك هي الوجوهُ الَّتي عادةً توصفُ بالحُسْن، وتُوصفُ بالوسامة تكونُ هكذا، ومثلما الدينارُ حائرٌ في لونه ما بين الأصفرِ الفاقع وبين البُني الغامق لا بدرجةٍ شديدةٍ جِدَّاً، كذلك الوجهُ الدينارِيَّ بشرتهُ حائرةٌ ما بينَ البياض الناصع وما بينَ السُمرةِ الخفيفة، قد يُعبَّرُ عنهُ بالتعابير السائرةِ بين الناس بأنَّهُ حنطيّ نسبةً إلى الحنطة.

ذَاكَ الَّذي وَجهُهُ كَالدِّينَار - صاحبُ وجهٍ عريضٍ يكونُ ما بين الدائرةِ والمربع، وحينما يُوصفُ بأنَّهُ كالدينار يدلُّ على وسامته، يدلُّ على جاذبيته، ويدلُّ كذلكَ على أنَّ بشرتهُ حائرةٌ ما بين البياضِ الناصع والسّمرة الخفيفة، مثلما هو الدينار، كالدينار هذهِ كافُ التشبيه، والكلامُ كُلُّهُ على وجه المقاربة.

ذَاكَ الَّذي وَجْهُهُ كَالدِّينَار وَأَسْنَانُهُ كَالْمنْشَار - أمّا المنشار فهو معروفٌ لديكم الألةُ الَّتي تُستعملُ في قطعِ الأشياء، وقديماً كانوا يستعملونها في قطع الأخشابِ في الأعمِّ الأغلب، أسنانُ المناشير تكونُ متَّصلةً ملتصقةً مع بعضها في جهة أسافلها، وتكونُ منفرجةً مُتباعدةً في جهة أعاليها، وتكونُ هذه الأسنانُ متقاربةً جِدَّاً في جهتها العُليا، فلا يكونُ سنٌّ من أسنان المنشارِ عالياً ويكونُ سَنٌّ آخر قصيراً وا طئاً، لا يمكنُ هذا، فهذا منشارٌ سيئٌ لا يستطيعُ الإنسانُ أن يستعملهُ بكفاءةٍ وبحُسنِ أداء.

قال: **وَأَسْنَانُهُ كَالْمنْشَار** - وصفٌ غريبٌ وعجيبٌ! الأسنانُ في أدبِ العربِ إذا جاءَ ذكرها للمدح فإمّا أن تكون علامةً على الجمالِ والحُسنِ والوسامة، لكنَّني لا أعتقدُ أنَّ هذا الوصف يرتبطُ بهذهِ الجهة.

الأسنانُ حينما تُذكرَ ويُقصَدُ من ذكرها الإشارةُ إلى جمالِ صاحبها فهي إمّا أن تكون مُفلَّجةً وهي العريضة، المتساويةُ والَّتي تكونُ ليست متلاصقة والأسنانُ العريضةُ لا يُمكن أن تُوصف من أنَّها أسنانُ منشار، وإمّا أن تُوصف بلؤلؤٍ منظوم، أو نظامِ لؤلؤ.

أمَّا أن تُوصف الأسنانُ من أنَّها كالمنشار فلا أعتقدُ أنَّ الوصف هنا يشيرُ إلى جمالٍ من خلالِ هذا الوصف، فهل الحديثُ مثلاً عن شراهةٍ في الطعام؟ يمكن، ولكنَّ المقام مقامُ مدح لهذا الَّذي يدفعُ الرايةَ إلى القائم، وقطعاً النَّبيّ لا يقصدُ هَذا المعنى هنا.

أو أنَّ المرادَ من أنَّ أسنانهُ كالمنشار يُشارُ بذلك إلى إيذاء هذا الشخص للآخرين ليس بأسنانه وإنَّما بلسانه، المسلمُ من سَلِم المسلمون من سَلِم الناسُ من لسانه ويده، ذاك الَّذي لا يَسلَم الناسُ من لسانهِ ويَده يمكننا أن نصفهُ بأنَّ أسنانهُ كالمنشار حتَّى لو كانت جميلةً، وذلك لأنَّهُ يؤذي الآخرين.

لكنَّ هذه المعاني لا تُرَادُ هنا لأنَّها من معاني القدح من معاني الذمّ، والنَّبيّ هنا في مقام المدح لهذا الَّذي من ذريةِ جعفر ويدفعُ الراية لقائمِ آلِ مُحَمَّد صلواتُ اللهِ عليهم.

إذاً ما المراد من أسنانه كالمنشار؟!

الَّذي يظهرُ لي من خلالِ دراسة كُلِّ التفاصيلِ الموجودة في هذهِ العبائر والمقامُ مقامُ مدح من أنَّ أسنانهُ كالمنشار وصفٌ لأسنانهِ لملاحظةِ قضيةٍ مهمَّةٍ جدَّاً ترتبطُ بالنطقِ وفصاحةِ المنطق، قد تقولون كيف ذلك؟!

سأقرِّبُ لكم الصورة: الأسنانُ لها مدخليةٌ كبيرةٌ في ضبطِ النُطق، الَّذي يفقدُ أسنانهُ سيكونُ منطقهُ ليسَ سليماً، وستكونُ الأصواتُ الخارجةُ من ثغرهِ ليست دقيقةً، سيحدثُ التباسٌ في نهاياتِ مخارجِ الحروفِ الصوتيةِ عند المتلقي، لأنَّ الأسنان في الفكين لها مدخليةٌ كبيرةٌ في ضبطِ حركةِ اللسان وفي

ضبط خروج الهواء من بين الفتحات والشقوق فيما بين الأسنان، كما أنّها تكونُ بمثابة سياج وحَدٍّ تنتهي حركةُ اللسان عنده، فالأسنانُ لها أهميّةٌ كبيرةٌ في ضبط عملية النطق، إذا كانَ شكلُ الأسنان طبيعياً في الفك الأ على وفي الفك الأسفل وكانَ انتظامها في الحدِّ والمستوى الَّذي لا يصطدمُ باللسان حينما يتحرّك أثناء النطق وإنَّما تُشكّلُ الأسنانُ حائلاً وحاجزاً عن انفلات حركة اللسان وتكونُ بمثابة الفلتر لخروج الهواء المندفع أثناء النطق إذا كانت الأسنانُ بهذا الشكل فإنَّ النطق يكونُ سليماً.

الَّذي أعتقدهُ أنَّ وصفَ أسنانَ هذا الَّذي وجههُ كالدينار من أنَّ أسنانهُ كالمنشار إشارةٌ إلى أنَّ هذه الأسنان قد انتظمت أو كانت بنحوٍ تُساعدهُ على النطق السليم، لأنَّ هذا يرتبطُ بالتعبير الآتي: (**وَسَيفُهُ كَحَرِيقِ النَّار**)، ما المرادُ من سيفه هنا؟ هل هو السيفُ الَّذي نعرفهُ هذا السلاحُ الحديديَّ الحادّ الَّذي كان يُستعملُ زمان الحديث، زمان رسول الله صلَّى الله عليه وآله، السيوفُ هذه الَّتي قد يُوصفُ بعضها بالحُسام، وبعضها بالمهنَّد، هذه السيوف الأسلحةُ المعروفة، فهل المراد ه و هذا السيف؟! وحينما يُشبّه بحريق النار قطعاً السرّ ليس في السيف، السرّ في حامله، إذا كُنَّا نتحدَّثُ عن سيف كالسيوف الَّتي نعرفها، فهذه السيوفُ ليست فيها من خاصية يُمكننا أن نقول عنها من أنَّها كحريقِ النار وإنَّما الخاصيةُ ستكونُ في حاملها، مثلما جاء في كتابِ أمير المؤمنين صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه إلى أهل مصر بعد أن أمر مالك الأشتر بالمسير إلى مصر كي يكون عاملهُ هناك، فماذا جاء في هذا الكتاب؟

إنَّهُ الكتابُ الثامنُ والثلاثون من كُتب الأمير في باب الكتب من (نهج البلاغة الشريف): **أَمَّا بَعدُ؛ فَقَد بَعثتُ إِلَيكُم عَبْدَاً من عِبَاد الله لَا يَنَامُ أيَّامَ الخَوْف** - ليس من جُبنه وإنَّما من عزمه يريدُ أن يكون سبباً لإيجاد الأمانِ للآخرين، نحنُ نتحدَّثُ عن مالك - **وَلَا يَنكُلُ عَن الأَعْدَاء سَاعَاتِ الرَّوْع** - لا ينكلُ؛ لا يفر، ولا يضعُف، ولا يُصيبهُ الخور - **أشدَّ عَلَى الفُجَّارِ من حَرِيقِ النَّار** - هو مالكٌ بشخصه وليس بسيفه مالكٌ بعقله، مالكٌ بقلبه، مالكٌ بلسانه، مالكٌ بفصاحته، إنَّهُ بكُلِّ شخصيّته وليس بسيفه - **أشدَّ عَلَى الفُجَّارِ من حَرِيقِ النَّار، فَإِنَّهُ سَيفٌ من سُيُوفِ الله** - منطقهم واحد وهذا هو منهجُ لحنِ القول إنَّها معاريضُ الكلام في حديث العترة الطاهرة صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليها.

وَسَيفُهُ كَحَرِيقِ النَّار - فسيفهُ هنا هل هو السيف الَّذي نعرفهُ وإنَّما قيل كحريقِ النار لشدَّة شكيمة صاحبه، لقُوَّة ذراع حامله، لبأس هذا الفارس الَّذي قد شهر سيفهُ فصار سيفهُ كحريقِ النار بسببه، فإنَّ السيف هنا إذا كان آلةً وكان سلاحاً حديدياً هذا الَّذي نعرفهُ الَّذي كانَ يُستعملُ أيام رسول الله، إنَّني أتحدَّثُ عن أيامِ رسول الله لأنَّني أتحدَّثُ عن حديث من أيا م رسول الله صلَّى اللهُ عليه وآله، فإنَّ الوصفَ بحريقِ النار لنفس هذا الَّذي وجههُ كالدينار، لنفس الشخص وليس للسيف، هذا بالضبط مثلما نصفُ النَّهر بأنَّهُ جارٍ، النَّهر ما هو بجارٍ الماء هو الَّذي يجري، النَّهر أخدودٌ في الأرض إنَّهُ ثابتٌ على حاله، فـ انتقل وصفُ الجريان من الماء الَّذي في جوفه إلى نفس الأخدود فقيل هذا النهر جارٍ، سيفٌ كحريق النار في الحقيقة حاملُ السيف كحريقِ النار، ولكنَّ الوصف انتقل من حاملِ السيف إلى السيف، تلكَ هي حلاوةُ التعابيرِ الأدبية، وتلكَ هي روحُ اللغة العربية، إنَّها اللسانيةُ الَّتي حدَّثتكم عنها.

ذَاكَ الَّذي وَجهُهُ كَالدِّينَار وَأَسْنَانُهُ كَالْمنْشَار وَسَيفُهُ كَحَرِيقِ النَّار - حينما أجمعُ بين أسنانٍ كالمنشار وسيف كحريقِ النار أجدُ أنَّ السيف ما هو بسيفٍ حديديٍ، قد يقولُ قائلٌ: رُبَّما هي الأسلحةُ الناريةُ في زماننا، هذا الاحتمالُ واردٌ جِدَّاً، لأنَّ النَّبيّ يتحدَّثُ عن الَّذي يدفعُ الراية إلى القائمِ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه وذلك في زمنٍ آت، الأسلحةُ في زماننا أسلحةٌ ناريةٌ، إنَّني أقولُ هذا الاحتمالُ واردٌ جِدَّاً من جهة ما يجري في الواقع، فالسيوفُ في أيامنا أسلحةٌ نارية، وحتَّى في قادمِ الأيام، أكانَ الظهورُ قريباً أم كان الظهورُ بعيداً عن أيامنا هذه، فإنَّ الأسلحةَ الناريةَ ستكونُ أشدَّ ستتطوّر - **ذَاكَ الَّذي وَجهُهُ كَالدِّينَار وَأَسْنَانُهُ كَالْمنْشَار وَسَيفُهُ كَحَرِيقِ النَّار** - بحسبِ الو اقع يمكن أن يصدُقَ هذا الوصف على الأسلحة النارية، لكن بحسبِ أيامِ هذا القول فإذا صدق على السيفِ الَّذي نحنُ نعرفهُ فإنَّ الوصف في الحقيقة لحاملِ السيف.

لكن إذا نظرنا إلى البُنية الأدبية: **وَأَسْنَانُهُ كَالْمنْشَار** - وهي في مقامِ المدح - **وَسَيفُهُ كَحَرِيقِ النَّار** - فإنَّ السيف هنا ربَّما يُرَادُ به العقل، العقلُ القلبُ يُرَادُ به مضمونُ الإنسان، مضمونُ شخصيّة هذا الشخص من علمٍ وفقه ومعرفة، من عقيدة وثقافة وحكمة ورؤية لنفسه ولغيره وللعالَمِ من حوله، فيكونُ سيفهُ هو علمهُ هو عقلهُ هو قلبهُ هو مضمونهُ، وقد يكونُ سيفهُ في لسانه في منطقه في فصاحته إذا ما نظرنا إلى هذا التعبير: (**وَأَسْنَانُهُ كَالْمنْشَار**)، وليس فيها من دلالة إلَّا تلكَ الدلالة الَّتي أشرتُ إليها الَّتي تتحدَّثُ عن أنَّ شكل أسنانه قد انتظم بطريقة تُساعدهُ في فصاحة منطقه وتُساعدهُ في أن تخرج الحروفُ من مخارجها بشكلٍ دقيقٍ وصحيحٍ ومُنضبط، لأنَّ للأسنانِ وظائف، من جملة وظائفها هو هذا الَّذي أشرتُ إليه.

هذه المضامينُ تنتشرُ في أساليبِ التعبيرِ في الأدبِ العربي في سالف الأيامِ وفي حاضرها ..

- **وقفةٌ مع شواهد شعرية من شعر المتنبي، والمرجع النَّجفي شيخ مرتضى آل ياسين، وصفي الدين الحلي.**

ذَاكَ الَّذي وَجْهُهُ كَالدِّينَار وَأَسْنَانُهُ كَالْمنْشَار وَسَيْفُهُ كَحَرِيق النَّار- سيفهُ كالسيف الَّذي كان يُقاتَلُ بهِ أيام هذا الكلام أيام رسول الله، فصفةُ حريق النَّارِ لحاملِ السيف، وإنَّما تتحوَّلُ إلى السيف وفقاً لأساليبِ التعبير الأدبي في لغة العرب، مثلما تحوَّل وصفُ الجريانِ من الماء إلى النهر، أو أنَّهُ بحسبِ واقعنا لأنَّ الحديث عن مستقبل الأيامِ عن ظهور الإمام، سيفٌ كحريق النَّار إنَّها الأسلحةُ الناريةُ الَّتي تُستعملُ في أيامنا وَستبقى تُستعملُ في قادمِ الأيام.

أو أنَّ المراد هو هذا الذوقُ الَّذي يتفشَّى في الأساليب الأدبيةِ في المذاقِ العربي خصوصاً إذا أخذنا بنظرِ الاعتبار (وَأَسْنَانُهُ **كَالْمنْشَار وَسَيفهُ كَحَرِيقِ النَّار**) ، شخصيّتهُ عقلهُ مثلما قال المتنبي:

لـولا الـعـقـولُ لـكـان أدنى ضـيـغـمٍ أدنى إلى شرفٍ مـن الإنسـانِ

الـرأيُ قـبـل شـجـاعـة الشـجـعـانِ هـو أوّلٌ وهـي المـحـل الـثـاني

- **وقفةٌ مع كمالُ الدين وتمامُ النعمة / لشيخنا الصدوق / حادثة محاورة هشام بن الحكم في قصرِ يحيى بن خالد البرمكي بحضور هارون العباسي الذي كان متخفيّاً عن هشام.**

أتدرون ماذا فعل هارون بعد أن رأى هشاماً قد أسكت الجميع ؟ **عضَّ عَلَى شفَتَيه وَقَال: مثلُ هَذا حَيّ وَيَبْقَى لِي مُلْكِي سَاعَةً وَاحدَة** - لابُدَّ أن يقضى عليه، المنهجُ العبّاسي هو هو في أيامنا، هو هو، العبّاسيون هم بأنفسهم - **عضَّ عَلَى شفَتَيه وَقَال: مثلُ هَذا حَيٌّ وَيَبْقَى لِي مُلْكِي سَاعَةً وَاحدَة، فَوالله لَلسَانُ هَذا أَبْلَغُ فِي قُلُوبِ النَّاس مِن مِئَة أَلفِ سَيف**- هذا قوتهُ أكثرُ من جيشٍ عدادهُ مئةُ ألفَ فارس، تلميذٌ صغير من تلامذة جعفرِ بنِ مُحَمّد.

سَيفُهُ كَحَرِيقِ النَّار - ألا تُلاحظون أنَّ الثقافةَ العربية وأنَّ الأدب العربي يتجلَّى واضحاً جِداً في القيمةِ الأدبيةِ العالية في النصوص القُرآنية وفي النصوص الحديثيةِ للمعصومين صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهم أجمعين، هُم سادةُ الفصحاء، هم أفصحُ الفصحاء، هم أهل الفصاحةِ والبلاغة إنَّهم مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمّد وانقطع الخطاب.

فهارون العبّاسي يرى أنَّ لسانَ هشام أبلغُ من مئة ألفِ سيف، هكذا يُنتجُ الصَّادق، هذه فصاحةُ جعفر، إنَّني أتحدَّثُ عن الصَّادق حين سأل هشاماً عن نقاشهِ مع عُمر بن عُبيد وهو من كبار المتكلّمين في البصرة، وكانَ هشام صغير السن، الإمام الصّادق طلبَ منهُ أن يحكي لهُ الحكاية، ذكرَ لهُ الحكاية بتفاصيلها، موجودةٌ في الجزء الأول من الكافي، الإمامُ قال لهشام: **مَن عَلَّمَكَ هَذا؟** - فماذا قال هشام؟ - **شَيءٌ أَخَذْتُهُ مِّنْكَ وَأَلَّفْتُهُ** - فهذي ا لفصاحةُ من تلكَ الفصاحة، ليستمع مراجعُ النَّجف إلى هذهِ الحقائق وليقيسوا حالهم بهذهِ الموازين، أين هم وأين موقعهم من هذهِ المستويات العالية؟

قارنوا بين الَّذي يُنتجهُ منهجُ جعفر - إنَّني أتحدَّثُ عن جعفرِ الجعافر، إنَّهُ الصّادقُ المصدَّق، هذا جزءٌ يسيرٌ وبالمناسبة هشام لم يكن في الذروة العالية، هناك من هو أعلى رُتباً من هشام في أصحابِ الصَّادقِ وتلاميذه - قارنوا بين هؤلاء وهؤلاء وشوفوا الخرطي الموجود عندنا ويقولوا لنا احنا تلاميذ الصَّادق وهمّه سطرين على بعضهن ما يحسنون يتكلّمون بيهن بشكل صحيح، وير دونا نجعلهم ميزان، الميزان آل مُحَمّد، هذا المنطق هو الميزان، الميزان فكرُ آلِ مُحَمَّد، حديثُ آل مُحَمَّد الميزان.

أعودُ إلى الرواية: **ذَاكَ الَّذي وَجهُهُ كَالديْنَار وَأَسْنَانُهُ كَالْمنْشَار وَسَيفُهُ كَحَرِيقِ النَّار** - شخصيّةٌ متميزةٌ، النَّبيّ يُحدِّثنا عن وسامةِ وجههِ وعن فصاحة منطقه - **ذَاكَ الَّذي وَجهُهُ كَالديْنَار، وَأَسْنَانُهُ كَالْمنْشَار وَسَيفُهُ كَحَرِيقِ النَّار** - سيفهُ عقلهُ، رأيهُ، قلبهُ، وهذا ينسجمُ مع هذا التعبير - **وَأَسْنَانُهُ كَالْمنْشَار** - إنَّها الفَصاحةُ والبلاغةُ مع العقلِ والعلم فإنَّ اللسان جُعل على ما في الفؤاد دَليلاً وعلى ما في العقل دليلاً.

ذَاكَ الَّذي وَجهُهُ كَالديْنَار وَأَسْنَانُهُ كَالْمنْشَار وَسَيفُهُ كَحَرِيقِ النَّار، يَدْخُلُ الجَبَلَ ذَلِيلاً وَيَخرُجُ مِنْهُ عَزِيزاً - في نسخة (يَدخُل الجَند) ولا معنى لها - **يَدْخُلُ الجَبَلَ ذَلِيلاً** - لأنَّ الجبل هو اسمٌ لبلاد فارس، قد يُعبَّرُ عن البلاد الإيرانية بالهَضبة الإيرانية لأنَّها أرضٌ مرتفعة، فلذا تُسمَّى أرضُ إيران قديماً بأرض الجبل، وتحديداً يُطلَقُ هذا العنوان على وسط إيران، إنَّها منطقةُ أراك والَّتي يُقالُ لها عراقُ العجم، ومدينة أراك من المدن الكبيرة في إيران، أراك يعني عراق، ولكن تُخفَّف بحسبِ اللّكنة الفارسية، فالحروفُ في اللغة الفارسية تكونُ مُخفَّفةً بالقياس إلى الحروف العربية الَّتي تكونُ مُغلَّظةً مُخشَّنة، فأرضُ ا لجبلِ أرضُ أيران وأرضُ الجبلِ هي أرضُ قم وما يدورُ حولَ قم، أراك، كاشان، وسائر المناطق الأخرى الَّتي جغرافيّاً تُحيطُ بقم.

ذَاكَ الَّذِي - ذاك اسم إشارة، الَّذي اسمٌ موصول - **ذَاكَ الَّذِي وَجْهُهُ كَالدِّيْنَار وَأَسْنَانُهُ كَالْمِنْشَار وَسَيْفُهُ كَحَرِيقِ النَّار** - إنَّهُ معرفة فجاءت جملةٌ فعليةٌ تبدأ بالفعل المضارع بعد المعرفة فإنَّها تُعربُ حالاً بحسبِ القاعدة النحوية المعروفة، الجُملُ بعد المعارف أحوال، وبعد النكرات صفات، فهذه الجملةُ محلُّها الإعرابيّ هي أنَّها في محلِّ حالٍ لهذا الَّذي وجههُ ك الدينار، يعني أنَّ دخوله الجبل وخروجهُ من الجبل هي حالةٌ طارئة ما هي بصفة ثابتة لهُ، لو جاءت هذه الجملةُ بعد نكرة لكانت صفة، والصفةُ - ليست دائما - في أغلب الأحيان تدلُّ على الثبات، قد تدلُّ الصفة في بعض الأحيان من خلال القرائنِ على عدم الثبات، لكنَّ الصفةَ بحسبِ المذاق الأدبي العربي في أغلب الأحيانِ تدلُّ على الثبات، أمَّا الحالُ فلا يدلُّ على الثبات، خصوصاً وأنَّ القرائن الموجودة تُؤكِّد هذا المعنى معَ أنَّ الحال بما هو حال لا يدلُّ على الثبات، فهذه جملةٌ فعليةٌ ابتدأت بالفعل المضارع جاءت بعد المعرفة - **ذَاكَ الَّذِي** - إلى بقيّة الكلام، إنَّها شخصيّةٌ معروفةٌ من خلال المعنى وحتَّى من خلال التراكيب اللفظية - **ذَاكَ الَّذِي** - فالجملةُ تكونُ حاليّةً، فهذا يعني أنَّ هذا الوضع ليس أصلياً في حياته وإنَّما هو طارئٌ عليه، هذا هو الَّذي قلتهُ لكم من أنَّنا إذا أردنا أن نفهم النصوص علينا أن نفهمها ضمن الكينونة الأدبية لا كما يقولون بحسبِ منهج الاستنباط والاجتهاد عند مراجع النَّجف أن نعود إلى قليلٍ من النحو بالحد الضروري، وإلى قليلٍ من اللغة بالحد الضروري مع الاعتماد على القاعدة الشافعية إنَّها حُجّيّةُ الظهور العرفي، راح يطلع الحجي خرط خرط بخرط.

يَدْخُلُ الجَبَلَ ذَلِيلاً وَيَخرُجُ مِنْهُ عَزِيزاً - والذلّةُ هنا ما هي بذمٍ والعزّةُ هنا ما هي بمدح إنَّما هو وصفٌ لحاله، فهو ممدوحٌ من البداية: وَجْهُهُ كَالدِّينَار، أَسْنَانُهُ كَالْمِنْشَار، سَيفُهُ كَحَرِيْقِ النَّار - هذا مدحٌ ثابتٌ في شخصيته، فالذلّةُ والعزّةُ هنا إنَّما هي الظروفُ المحيطةُ به، فدخولهُ ضمن ظروفٍ مُعيّنة وخروجهُ ضمن ظروفٍ مُعيّنة، هذه ذلّةٌ قد تكونُ في الإمكانات المادية، قد تكونُ ذلّةً في الجانبِ الأمني، يكونُ خائفاً لكنَّها ليست ذلّةً في شخصه لذمّه كما أنَّ العزّة هنا ليست في شخصه لمدحه، وإنَّما الروايةُ تُقرِّرُ أوضاعاً يمرّ بها هذا الشخص بحسبِ الظروف المحيطة به، والتي جعلتهُ ضعيفاً حال دخوله الجبل، الذلّةُ هنا ما هي بذلّة المهانة في شخصيّته وإنَّما بذلّة الضعف بسببِ الظروف المحيطةِ به، وحتَّى العزّةُ هنا ما هي بمدحٍ لشخصه وإنَّما وصفٌ لحاله حينما يخرجُ من الجبل وهذا الوصفُ يتأتى من الظروفِ المحيطةِ به.

يَدْخُلُ الجَبَلَ ذَلِيلاً - يعني أنَّ عاقبة أمره في دخوله للجبل أو أنَّ حالهُ حين الدخول يكونُ بهذا الوصف.

وَيَخرُجُ مِنْهُ عَزِيزاً - إمَّا أنَّ عاقبة أمره بعد خروجه سيكونُ عزيزاً، وإمَّا أنَّهُ وصفٌ لحاله عند الخروج، الاحتمالان قائمان مُتساويان، وربَّما يُرادُ من هذا الكلام الاحتمالانِ معاً عند الدخول وكذلك ما يرتبطُ بعاقبة أمره، وعند الخروج وما يرتبطُ بعاقبةِ أمره بعد الخروج.

فَذَاكَ الَّذِي وَجْهُهُ كَالدِّينَار وَأَسْنَانُهُ كَالْمِنْشَار وَسَيفُهُ كَحَرِيقِ النَّار يَدْخُلُ الجَبَلَ ذَلِيلاً وَيَخرُجُ مِنْهُ عَزِيزاً يَكْتَنِفُهُ جَبرَائِيلُ وَمِيكَائِيل - يكتنفهُ يرعاهُ من بُعد، اكتنفهُ أحاط به من بُعد، ولذا يُقَالُ أكنافُ الأرض، إنَّها الأطرافُ البعيدة، هناك رعايةٌ، حراسةٌ، متابعةٌ، تسديدٌ عن بُعد لهذا الَّذي وجههُ كالدينار وأسنانهُ كالمنشار وسيفهُ كحريقِ النَّار الَّذي يدخلُ الجبل ذليلاً ويخرجُ منهُ عزيزاً، يكتنفهُ جبرائيلُ وميكائيل.